With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"مِقيتس" هو النصُّ الأسبوعي العاشر من كتاب "بريشِيت" (سِفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المَقطع الحادي والأربعين وينتهي بالآية السابعة عشرة من المقطع الرابع والأربعين.

قُوَّةُ الْأَحْلَامِ

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

في واحدةٍ من أعظم التحوّلات الدراماتيكيّة في تاريخ الأعمال الأدبيّة جميعها، ينتقل يوسف، في لحظةٍ خاطفة، من زنزانة السجن إلى منصبٍ هو بمثابة "رئيس وزراء" أعظم إمبراطوريّة عرفها التاريخ القديم. فكيف حدث هذا التحوُّل الهائل؟ وما الذي ميَّز يوسف ليكون هو بالذات مَن يقع عليه اختيار فرعون ليقود البلاد، وهو الغريب تمامًا عن الثقافة المصريّة، "العِبريّ" الذي قضى سنواتٍ خلف القضبان بعد أن اتّهمتْه زورًا زوجةُ الوزير پوتيفار بجريمة اغتصاب، لأنّه رفضَ محاولاتها المُتكرّرة لإغوائه؟

يكمن الجواب في اجتماع ثلاث مواهب منحها إياه الله عزّ وجلّ، ثلاث صفاتٍ قد نصادف واحدةً منها فقط في كثيرٍ من الناس، لكن قلَّما تجتمع ثلاثتها معًا في شخصٍ واحد. وأولى تلك الصفات هي أن يوسف كان يرى أحلامًا ذات مغزى عميق. وفي بداية قصّة يوسف، لا نعلم بعد إنْ كان الحلمان اللذان رآهما في صباه - وأولهما رؤيته لحُزَم السَّنابِل الخاصّة بإخوته وهي تنحني لحُزمته، وثانيهما رؤيته للشَّمسِ والقمر وأحد عشر كوكبًا يسجدون له - تعبيرًا عن عظمةٍ آتية، أم مجرّد خيالات مراهقٍ مدلّل غارق في وَهْم العظمة.

وفقط في هذا النصّ الأسبوعيّ الذي بين أيدينا، "مِقيتس"، يُكشفُ لنا عن مَعْلُومَةٍ جوهريّة لم تُذكَر من قبل، وهي أنّ فرعون رأى هو الآخر حُلمين، وقد فسّرهما له يوسف. وكما ورد في الآية الثانية والثلاثين من المَقطع الحادي والأربعين من سفر التكوين، قال يوسف لفرعون: "وَأَمَّا إِعَادَةُ الرُّؤْيَا عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ، فَلأَنَّ الأَمْرَ ثَابِتٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ، وَهُوَ مُسْرِعٌ أَنْ يَصْنَعَهُ". بهذه الكلمات، أفصح يوسف عن معنىً عميقٍ لم يكن واضحًا لنا من قبل، وهي أنّ تكرّر الرؤيا ليس مصادفة، بل علامة على أنّها ستتحقّق لا محالة. ومن هنا، نفهم بأثرٍ رجعيّ أن حلمَي يوسف في صغره لم يكونا من وحي الخيال، بل نبوءة من الله عزّ وجلّ، يُمهّد بها لصعوده إلى مكانةٍ تجعل عائلته تنحني أمامه، حرفيًّا ومعنويًّا.

ولم تقتصر مواهب يوسف على رؤية الأحلام فحسب، فثاني المواهب التي منحها إياه الله عزّ وجلّ هي قدرته النادرة على تفسير أحلام الآخرين، كما فعل سيغموند فرويد بعد قرونٍ طويلة. وقد فسّر أحلام رَئِيسِ السُّقَاةِ ورَئِيسِ الخَبَّازِين في السّجن، وها هو في هذا النصّ الأسبوعي "مِقيتس"، يفسِّر حُلمَ فرعون نفسه. لكنَّ تفسيرات يوسف لم تكن خارقةً للطبيعة أو قائمةً على السحر، بل اعتمدت على البصيرة والتفكير المنطقي. ففي حالة رَئِيسِ السُّقَاةِ ورَئِيسِ الخَبَّازِين، تذكّر يوسف أنّه بعد ثلاثة أيّام، سيحلّ عيد ميلاد فرعون، كما وردَ في الآية العشرين من المَقطع الأربعين من سفر التكوين. وكان من عادات الملوك أن يُقيموا في أعياد ميلادهم ولائم كبيرة، ويصدروا قرارات حاسمة تتعلّق بمصير بعض السجناء، كالعفو عنهم أو إدانتهم. وهذه العادة لا تزال قائمةً إلى اليوم؛ ففي بريطانيا مثلًا، يُمنَح في عيد ميلاد الملك أو الملكة عددٌ من الجوائز ضمن ما يُعرف بـ"تكريمات عيد ميلاد الملك/الملكة"، تقديرًا لأشخاصٍ ساهموا بإنجازاتٍ متميزة لخدمة المجتمع البريطاني. من هنا، كان من الطبيعيّ أن يفترض يوسف أنّ أحلام رَئِيسِ السُّقَاةِ ورَئِيسِ الخَبَّازِين مرتبطةٌ بهذا الحدث القريب، وأنّها انعكاسٌ لآمالهما ومخاوفهما في اللاوعي. وقد أشار بعضُ كبار المفسّرين في التراث اليهودي، مثل ابن عزرا وبِخور شور، إلى هذا الاحتمال تحديدًا في تفسيرهم للآية الثانية عشرة من نفس المقطع.

أمّا في حالة حُلمي فرعون، فمن الوارد أن يوسف كان على معرفةٍ بما هو شائعٌ في الروايات المصريّة القديمة عن المجاعات التي تدوم سبع سنوات. وقد نقل العلّامة اليهودي المعاصر ناحوم سارنا، وهو من كبار الباحثين في الدراسات التوراتيّة، نصًّا مصريًّا قديمًا يعود إلى عهد الملك زوسَر (حوالي القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد)، جاء فيه:

"إنّني أعيش في ضيقٍ على عرشي العظيم، والذين معي في القصر تنفطر قلوبُهم من شدة الوجع نتيجة ما رأوه من شرٍّ مُهلِك؛ إذ لم يأت النيل في عهدي منذ سبع سنين. فقلَّت الحبوب في الأرض ونقصت، ويبست الثمار وذبلت، ولم يجد الناس ما يأكلونه ولا ما يقيمون به أودهم".[1]

لكنّ الإنجاز الأعظم ليوسف لم يكن أحلامه، ولا حتى تأويله لأحلام الآخرين، بل كان الهبة الثالثة التي أنعم الله عزّ وجلّ بها عليه: وهي القدرة على تحويل الحُلم إلى واقع، والتخطيط لحلّ المشكلة التي كانت الأحلام إنذارًا مبكرًا لها. ففي اللحظة ذاتها التي أنهى فيها يوسف تأويل حلم فرعون، والذي أنذر بسبع سنواتٍ من المجاعة، انتقل فورًا، من دون أن يُطلَب منه، إلى طرح الحلّ. فلم يسترح يوسف للحظة، بل بدأ في وضع خطّةٍ إداريةٍ واقتصاديةٍ كاملةٍ، تضمن حماية البلاد من الكارثة الوشيكة، وذلك كما وردَ ابتداءً من الآية الثالثة والثلاثين وانتهاءً بالآية السادسة والثلاثين من المَقطع الحادي والأربعين من سفر التكوين:

"وَالْآنَ، يَنْظُرُ فِرْعَوْنُ، رَجُلًا فَاهِمًا حَكِيمًا، يُوَلِّيهِ عَلَىٰ بَلَدِ مِصْرَ. وَيُطْلَقُ لَهُ، أَنْ يُوَكِّلَ وُكَلَاءَ عَلَى الْبَلَدِ، حَتَّى يَعبُونَ غَلَّةَ بَلَدِ مِصْرَ، فِي سَبْعِ سِنِي (سنين) الشَّبَعِ، وَيُجَمِّعُونَ طَعَامَ هَذِهِ سِنِي الْخَيْرِ الْآتِيَاتِ، وَيُخَزِّنُونَ بِرَّهَا، تَحْتَ يَدِ وُكَلَاءَ فِرْعَوْنَ، وَيَحْفَظُونَ طَعَامَهَا فِي قُرَاهَا. وَيَكُونُ وَدِيعَةً فِيهَا، لِسَبْعِ سِنِي الْجُوعِ، الَّتِي تَكُونُ فِي بَلَدِ مِصْرَ، وَلاَ يَنْقَطِعُ أَهْلُ الْبَلَدِ مِنَ الْجُوعِ".

لقد رأينا يوسف من قبل وهو يُظهر عبقريّته الإداريّة، سواء في بيت پوتيفار الوزير أو في السجن. وكانت هذه الموهبة والصفة، التي تجلّت في اللحظة المناسبة تمامًا، هي التي مهّدت الطريق لتعيينه نائبًا لفرعون، ليصبح بذلك يوسف الحاكم الفعليّ لمصر. ومن قصّة يوسف نتعلّم ثلاث قواعد في القيادة. وأوّل قاعدةٍ هي: عليكَ أن تحلم. أي لا تخَف أبدًا من أن تُطلق العَنان لخيالك، وتدعه يُحلّق بعيدًا بحرّيّةٍ.

---

1. Nahum Sarna, *Understanding Genesis* (Tel Aviv: Schocken, 1966), 219.

فحين يأتي إليَّ البعض طلبًا لنصيحةٍ في القيادة، أنصحهم أن يخصّصوا لأنفسهم وقتًا ومجالًا ومساحةً للحُلم والخيال الخلّاق الذي يسمح لنا بإبداع أفكار جديدة، وتصوّر مستقبلٍ بديل. وفي الأحلام نكتشف شغفنا، ومن يتبع شغفه يسلك الطريق الأقرب إلى حياةٍ مُرضِيةٍ ذات معنى[2].

يظنّ بعض الناس أنّ الحُلم نوعٌ من الترف العقليّ أو الخيال غير العمليّ، لكنّ هذا الاعتقاد بعيدٌ عن الصواب. بل إنّ الحُلم في كثيرٍ من الأحيان قد يكون من أكثر الأفعال عقلانيّةً التي يمكننا القيام بها، والتي لها تأثيرٌ حقيقيٌّ على حياتنا. ولا يخصّص الكثير من الناس يومًا واحدًا حتّى للتفكير في حياتهم، في حين يقضون شهورًا وهم يخطّطون لقضاء إجازتهم، إذ يتركون أنفسهم تحت رحمة الصُدَف وتقلّبات الظروف، وذلك خطأ.

قال الحكماء في التلمود: "كلّما وردت في التوراة كلمة 'فَيهي' أي: 'وقد كان' أو 'حدثَ' أو 'وقع الأمر'، فهي في الغالب نذيرُ مأساة" (باب "مغيلاه" 10 ب). إنّ نمط الحياة القائم على "فَيهي" هو أننا نعيش وكأنّ الأحداث تُفْرَض علينا، وكأنّنا لا نمتلك الخيار لنمضي في الطريق الذي يلائمُنا. أمّا الحياة بأسلوب "يَهيي": "ليكنْ" أو "ليحدُثْ"، فهي أن نصنع الحدث بأنفسنا، وأن نمضي في مسارنا بإرادتنا دون أن ننساق رغمًا عنّا، وأن نحيا بقوّة الحُلم فالأحلام هي التي ترسم لنا الاتجاه.

اعتاد ثيودور هرتزل، الذي يُعزى إليه، أكثر من أيّ شخصٍ آخر، الفضل في ولادة دولة يسرائيل، أن يقول: "إذا أردتَ شيئًا وكنتَ مستعدًّا حقًّا لتحقيقه، فلن يبقى مجرّد حلمٍ". وقد سمعتُ مرّةً قصّةً رائعة من البروفيسور اليهوديّ الأمريكي إيلي فيزيل، وهو كاتبٌ وناشطٌ سياسيٌّ وحائزٌ على جائزة نوبل وناجٍ من المحرقة، يقول فيها: "في وقتٍ من الأوقات، عاش سيغموند فرويد وثيودور هرتزل في الحيّ نفسه في فيينا". وأضاف فيزيل مازحًا: "لكن، لحسن الحظّ، لم يلتقيا قط. أتتخيّل ما كان سيحدث لو التقيا؟ كان هرتزل سيقول: 'لديّ حلم بدولة يهوديّة'. فيردّ عليه فرويد: 'أخبرني، يا سيّد هرتزل، منذ متى يراودكَ هذا الحلم؟ تفضّل واستلقِ على أريكتي، وسأُجري لك تحليلًا نفسيًّا'. وهكذا، كان هرتزل 'سيُشفى' من حُلمه... وما كانت ستكون لنا دولة يهوديّة اليوم". لكن، ولحسن الحظ، فإنّ الشعب اليهوديّ لم يُشفَ قط من أحلامه.

وتتمثّل القاعدة الثانية من قواعد القيادة، في أنّ القادة الحقيقيّين يُفسّرون أحلام الآخرين، إذ إنّهم يُعبّرون عن تلك الرؤى والمشاعر الغامضة الّتي لا تزال في طور التشكّل، ويمنحونها صوتًا يُجسّد آمالَ جيلهم ومخاوفه. وقد كانت خطبة مارتن لوثر كينغ الشهيرة "I have a dream" (أي "لديّ حلم") تجسيدًا لهذا المعنى، فقد التقطت الحلم الجماعيّ للأميركيّين من أصل أفريقي، وأعطته جناحَين. كذلك، لم تكن أحلام يوسف الشخصيّة هي التي جعلت منه قائدًا، بل أحلام فرعون. فالأحلامُ الشخصيّة تمنحنا الاتجاه، أمّا أحلامُ الآخرين فتمنحنا الفرصة.

أما القاعدة الثالثة من قواعد القيادة فهي: ابحثْ عن طريقةٍ لتحقيق الأحلام، إذ عليكَ أن تحدِّدْ المشكلة أولًا، ثمّ تعثر على طريقةٍ لحلّها. وقد لفت الحاخام مناحيم مندل من كوتزك ذات مرّة انتباهنا إلى ملاحظةٍ دقيقة في تفسير الحاخام الشهير شلومو يتسحاقي، المعروف بـ"راشي"، للآيةِ الواحدةِ من المَقطعِ الثامنِ عشر من سِفرِ الخروج. حيث يقول راشي إنّ يِترو/يثرون، كاهن منطقة مَديَن، سُمِّيَ "يِتر"، أي "أضاف"، لأنّه أضاف مقطعًا إلى التوراة يبدأ بالآيةِ الواحدةِ والعشرين من المَقطعِ الثامنِ عشر من سِفرِ الخروج، وهي الآية التي تقول: "وَأَنْتَ فَانْظُرْ مِنْ جَمِيعِ الْقَوْمِ..."، وذلك عندما رأى يِترو أنّ نبيّ الله ورسوله موشيه/موسى يقود وحده، فأخبره أنّ ما يفعله ليس جيدًا، ونصحه بأن يختار رجالًا صالحين يُوكِل إليهم المهمّات مفوّضًا لهم قدرًا كبيرًا من عبء القيادة، كي لا يُنهك نفسَه ويُنهِكَ الشعب معه.

---

2. One of the classic texts on this subject is Ken Robinson, *The Element: How Finding Your Passion Changes Everything* (New York: Penguin Books, 2009).

إحدى الكتب الكلاسيكيّة حول هذا الموضوع هو كتاب كِن روبنسون: العنصر- كيف يغيّر اكتشاف شغفك كل شيء (نيويورك: دار بنغوين للنشر 2009)

لكنّ الحاخام مناحيم مندل من كوتزك أشار إلى أنّ المقطع الذي أضافه يترو لا يبدأ فعلًا بعبارة "وَأَنْتَ فَانْظُرْ مِنْ جَمِيعِ الْقَوْمِ"، بل يبدأ قبل ذلك بعدّة آيات، وتحديدًا في الآية السابعةَ عشرة من المقطع ذاته، حين قال يترو لموشيه: "لَيْسَ الْأَصْلَحُ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ صَانِعٌ". وتابع موضّحًا أنّ سبب تفسير راشي للأمر بهذه الطريقة المختلفة، يعود إلى أنّ قَوْلَ "لَيْسَ الْأَصْلَحُ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ صَانِعٌ" لا يُضيف شيئًا إلى التوراة، إذ إنّه مجرّد تحديدٍ للمشكلة. أمّا الإضافة الحقيقيّة فهي تبدأ عند ظهور الحلّ، أي المقطع الذي يدعو إلى تفويض القيادة وتوزيع العبء.

إنّ القادة الناجحين إمّا أن يكونوا قادرين على حلّ المشكلات من تلقاء أنفسهم، أو يُحيطوا أنفسهم بمَن يملكون هذه القدرة. ومن السهل أن نُدرك مكمن الخطأ، لكنّ القائد الحقيقيّ هو من يبتكر حلًّا لإصلاح هذا الخطأ. ولم تكمن عظمة يوسف في توقّعه سبع سنواتٍ من الوفرة والرخاء يعقبها سبعُ سنواتٍ أخرى من المجاعة، بل في ابتكاره نظام تخزين يُؤمّن الإمدادات الكافية من الطعام في السنوات العجاف التي ساد بها الجوع.

تكمنُ الحكمة في أن تسمح لنفسك بأن تحلم أحلامكَ الخاصّة، وأن تُصغي أيضًا إلى أحلام الآخرين، فتفهمها وتُحسِنَ التعبير عنها، ثمّ تجد طريقةً لتحويل الحلم إلى واقع، وإنّ هذه المواهب الثلاثة تُمَثِّلُ جوهر القيادة على طريقة يوسف.

Arabic Translation *by The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion*